وصريحة ، كان شعور من « القرف » أو نوع من الغثيان تجـــاه أى شىء حقيقى يقوى فى ذاتيته حيا وأرضيا ... وبالتدريج كان يخطىء المعلولات من أجل العلل ، وبدلا من ان يهاجـــم النظـــام الى هذا الحد أدان نفسه . كان هذا هو السبب فى ظهور هزلياته الساخرة التى قادته تدريجيا الى التشاؤم القـاتم فى البومـــة العمياء . الخلاصة أنه اجتهد بكل امكاناته ليجد مسلكا يقوده خارج مأزقه ، لكنه كل مرة كان يتعثر فى عقده أكثر من ذى قبل ، وكما قال عنه صديقه الدكتور خانلرى : : انه يبدأ من المراحـل المبكرة لحياة الجنس البشرى من بداية الخليقة ، فيصـــف فى أسطورة الخليقة حياة القرود الذين كانوا أسلاف الانسان ، ثم يتسلق درجات التاريخ ليسقط فى عالم الأرواح ، ومن كل هذه الرحلات يعود حزينا يائسا ، أتكون هذه الكآبة ناتجة من الأحوال فى عصره ؟ ربما .. وربما لو كان فى بيئة أخرى فى ظل أحوال اجتماعية مختلفة لبدا أكثر تفاؤلا » .

ولكى نفهم الحياة الصادية غير الانسانية فى البومة العمياء ونحللها ، نرى من الضرورى أن نتذكر حياة الكاتب وبيئته ، والى جوار القراءة بانتباه فان على المرء أن يبقى يقظ الرأس وأن يمهد لنفسه طريقا مباشرا داخل هذا الكتاب الغريب ، وبالنسبة للقارىء فبالرغم من كل انتباهه ، يجد نفسه مدفوعا الى الوقوع فى حالة تشبه أحلام التنويم ، انه يبدأ القراءة بوجهـــة نظر نقدية حتمية وبالتدريج يجتاحه جو من الالتباس ، ويتفكك خيط الأحداث ، وتبدو عليه فى النهاية وجهة نظر من قبول غير نقدى . ان ناقد البومة العمياء يشبه الجراح الذى يتأثر بالمخدر كلما بدأ العمل ، ومثل كافكا كان هدايت يلجأ الى استخدام صنعة الحلم بمهارة لكـى يوصل احساس عدم الواقعية .

ولأن البومة العمياء تروى فى ضمير المفرد المتكلم ، وهو أسلوب ليس عاديا بالنسبة لهدايت فهى تعد أكثر أعماله كشفا عن النفس